صورة المرأة في الرواية اليمنية
روايات محمد عبد الولي نموذجا

د. أحمد محمد قاسم عتيق*
Email: ahmedateeq444@gmail.com

ملخص البحث:

حاولنا في هذا البحث باستخدام منهج تحليل المضمون الكيفي تبيان نظرة مجتمع الرواية، ومدى انتقال قوة تأثير حياتنا الاجتماعية إلى مجتمع الرواية وخاصةً علاقة طرفي المجتمع المرأة و الرجل. وتتجلى مشكلة البحث التي نُعنى بوساطتها تبيين نوع المكانة التي تشغلها المرأة، ونظرة الأديب إليها وتأثير ذلك على المُتلقي (المجتمع) في تطوير نظرته نحوها، أم أنه يبقى مُتمترس خلف العُرف والعادات والتقاليد الاجتماعية التي لا تسمح للمرأة بتجاوز دورها المُتمحور حول خدمة الرجل؟.

وتكمن أهمية هذا البحث في محاولة التعرف على وعي الكاتب في تناولاته لقضايا المرأة عبر رواياته، وبحسب علمي أن هذا البحث يُعد الأول من نوعه في اليمن في إطار سوسيولوجيا الأدب، لذلك سيكون إضافة نوعية للدراسات العلمية.

كلمات مفتاحية: الرواية اليمنية، صورة المرأة، المجتمع، محمد عبد الولي.

Abstract:

In this research article, we tried to use qualitative content analysis methodology to show the community's vision of the novel, And the extent of the transmission of the influence of our social life to the society of the novel, especially the relationship between the two sides of society, women and men.

The importance of this research lies in the attempt to identify the writer's awareness in his discussions of women's issues through his novels, As far as I know this research is the first of its kind in Yemen within the framework of sociology of literature, so it will be a qualitative addition to scientific studies.

* أستاذ مساعد، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة صنعاء، اليمن.

مقدمة:

حينما نتحدث عن نظرة المجتمع إلى المرأة لابد أن ندرك الكيفية التي يتعامل بها المجتمع بتكويناته من الرجال والنساء وهل هو يحط من مكانة المرأة عبر الفرض من الرجل، أم بالاستسلام لذلك المرأة؟. ومن ثم تُحَدد مكانة المرأة في أسرتها ومجتمعها على أنها تابع يؤدي وظائف فرضها العُرف الاجتماعي، لكي تُلبي مصالح المجتمع ومصالح الرجل، وهنا نحاول التعرف على نظرة الأديب الروائي إلى المرأة في أعماله، ونوعية الأدوار التي يمنحها لها، وأثر تلك الأدوار في مكانتها الاجتماعية ضمن الوسط الاجتماعي للرواية، وما إذا كانت الصورة تكريس غير واعي لتفاصيل الحياة الاجتماعية في تعاملها مع المرأة بوصفها المرأة، والزوجة، والأخت التي تتحمل الكثير من الواجبات نحو أسرتها ومجتمعها ولا تحصل إلا على اليسير من الحقوق. سنناقش تفاصيل هذا البحث عبر عنوانين رئيسيين:

الأول: نظرة الأديب إلى المرأة.

الثاني: المرأة ومكانتها في الأسرة.

فيما يلي نُناقش بدايةً نظرة الأديب إلى المرأة في المحور الأول من هذا البحث.

نظرة الأديب إلى المرأة:

يعُد المجتمع الأديب عينه الفاحصة لما يُقدمه من أعمال تُسهم في تطوير الوعي العام، وتوجيهه الوجهة الصحيحة بنقده للأحوال القائمة التي يعيشها أعضاؤه رجالاً ونساءً، ولكن المشكلة تكمن في عدم اتساع أُفق هذا الأديب أو ذاك، حينها لا تعكس رؤى الروائي أو غيره من الكُتاب طموح المجتمع، وإنما تكرّس ما هو سائد، وهنا نشير إلى أن الأدب عامةً والرواية خاصة تعالج قضايا المرأة بنحو لا يقدم أي أثر إيجابي يعكس وعي الأديب العميق بتلك القضايا، ولا يرتقي بالوعي العام للمجتمع في اتجاه تحقيق العدالة والمساواة.

وإنما ظلت المرأة دائماً موضوعاً للحب والجنس والغزل، لا موضوعاً للعلم والعقل، وصورتها المتناثرة في ثنايا كتب الشعر والأدب توحي بأنها خُلقت قاصرة عاجزة، وأن قصورها كامن في طبيعتها، فلا يصح وجودها إلا بالرجل، إنها ملحق به

ومن متاعه بمقتضى هذا المفهوم، قلما نجد المرأة المحاربة والفاعلة في التاريخ، بل النادبة والقاصرة، فمثلاً الغزل والشعر هنا من نصيب الرجال أما الرثاء فهو من صناعة المرأة، ودورها في النمط المثالي للمرأة الصالحة يقتصر على صناعة الرثاء والكلام والأعمال المنزلية بخلاف النمط المثالي الآخر الذي يتمثل في الغزل والشعر والأدب. إن ألف ليلة وليلة تلك التحفة الفنية التي تعد من روائع الأدب الإنساني، وإن بدت أقرب إلى الخيال منها إلى الواقع فإنها واقعية في نظرنا لسببين، أولهما أنها تعبر عن الوعي الباطني للمجتمع بتصوره للمرأة المثالية جميلة وخيالية، وثانيهما أنها تعبر عن حقبة تاريخية معينة طغت فيها عقول الجواري والحريم.

"فالرجل الكاتب وهو يبني شخصية البطلة الأنثى في روايته، ولكي يرفعها إلى مرتبة المساواة يعمل على تنمية عناصر الذكورة، بينما تعمل الكاتبة المرأة على تنمية عناصر الأنوثة في شخصية البطل الذكر"[1]،"لذا تقوم الكاتبة النسوية لتعيد تأسيس العلاقات العضوية مع الجسد جسد العالم وجسد المرأة بعيداً عن منظومة التفكير الأبوي وثنائياتها، ولاحقاً ستلفت جوليا كريستينا نظرنا إلى طبيعة عملية التهميش والقمع والتخريب التي تصيب المرأة بسبب الصراع ضد الرجل الذي ينظّم الخطاب السائد عن الهوية، فهي تشكك في مفهوم الهوية نفسه وترفضه، فالأنوثة بحسب رأي كريستينا مفهوم خلفته بنية التفكير الأبوي وهيمنتها في مجتمع تسوده مركزية الكلمة بتعبير جاك ديريدا"[2].

ويُلاحظ أن الراوي اليمني بتعبيراته يُظهر المرأة كأنها لا تحسن إلا استدعاء الأساليب المختلفة التي بها تؤكد أنوثتها التي يرغبها الرجل. وفي رواية "الرهينة" ما يعبر عن رؤية الكاتب دماج بوساطة ما يسرده في ثنايا روايته عن نساء القصر وما يقُمن به من التحرش الجنسي الذي صدر من نساء الإمام تجاه الرهينة، وبحادثة تسلل زهرة أخت النائب العانس إلى غرفة الدويدار الحالي في منتصف الليل، ويصف الراوي الرهينة

[1] -نجم، مفيد، "المرأة في مرايا الذات والآخر"، **مجلة الموقف الأدبي**، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 1999م، ع،334، ص: 66.

[2] -الصكر، حاتم، مفاهيم ومقتربات نظرية حول النقد والكتابة النسوية، مجلة الحكمة اليمانية، مطابع مؤسسة الثورة للصحافة والنشر، عـ 206 -207، تموز - أيلول 1997م، ص: 58.

جميع نساء قصر النائب بالفساد الأخلاقي والجنسي ليطول الشريفة حفصة نفسها؛ تلك المرأة الجميلة التي أحبها الرهينة، وذلك عندما يشير إلى أن جناح الشريفة حفصة قد تحول بسبب كثرة الخمور فيه وتنوعها إلى خمارة بأكملها[3].

وهذا يدعو إلى التفكير فيما يحمله الكُتّاب، ولاسيما الروائيين منهم وكيف أنهم ما زالوا مُكبّلين بأوهام أصبحت لا تتلاءم مع الحياة التي نعيشها ونبحث فيها عن الطرائق التي توصل الكل الاجتماعي إلى العدالة للجميع. وهذه الأوهام تتمثل في آراء الفلاسفة، وعلى سبيل المثال ما قاله توماس : "إن الرجل هو الذي يبدأ ويرغب الجنس وعلى المرأة أن تستجيب له، وقد اعتقد توماس أنه من المضر لصحة الرجل أن يختزن السائل المنوي، ولهذا وجدت المرأة من أجل صحة الرجل، وأن البغاء مقبول كشر لابد منه، لأن طبيعة الرجل تحتاج إلى هذا البغاء صمام أمان، وحتى لا يختزن السائل المنوي داخل الرجل"[4].

إذاً فهذه الفِكَر تعكس أنه لابد من احترام رغبة الرجل من المرأة التي يعدها هذا الفكر ليست إلا مُجرد وعاء للتفريغ، وحاجته تقتصر على الملء وما يذهب إليه الإرياني في رواية "رُكام وزهر" يعكس هذه الانتهازية من الرجل للوصول إلى تحقيق أهدافه، والنص الآتي يعبر عن ذلك. "فكرت حليمة، وتدبرت أمرها، وحبكت خطتها، وكان المنوبي قد استولى على جسدها، ولكنها لم تكن قد استولت على مشاعره نحوها كونها أنثى واعدة للرجل. وهو يكشف لها هدفه، الذي يخدم جسدها من أجله، ويطلب مساعدتها للوصول إليه، ثم يزين لها الأيام التي ستأتي بعد رحيل الزمنتال، وكيف ستغدو لطيفة رهينة لهما"[5].

إن ما يُظهره النص أن المرأة (حليمة) بأُميتها وجهلها وغيرتها من السيدة لطيفة أختها قد جعلها أداة طيّعة بيد الرجل (المنوبي)، فيوحي لنا الراوي بهذا النص نظرة

[3] -ينظر: دماج، زيد مطيع، **الرهينة**، (بيروت: دار الآداب، ط1، 1984م)، ص: 16 -21.

[4] -السعداوي، نوال، **الرجل والجنس**، (القاهرة: دار مطابع المستقبل، ط 4، 1991م)، ص:53.

[5] -الإرياني، يحيى علي، **رواية ركام وزهر**، (بيروت: دار التنوير، ط 1، 1988م)، ص: 97.

الأديب أو الكاتب إلى نوع المكانة، أو المنزلة التي يمنحونها للمرأة أولاً، فهي وأخيراً مُجرد وعاء لإشباع رغبة الرجل.

هذا الأمر الذي يعكس أنانية واضحة من الرجل نحو المرأة بعدم اعترافه بإسهامات المرأة ونفي قُدرتها على تنمية المجتمع والحفاظ على الأسرة على أنها كيان يمد المجتمع بالحياة المتجددة. ولهذا "فإن الرواية الحديثة كما يرى "أندريه مارلو" ليست تصويراً لحال الفرد، وإنما وسيلة متميزة للتعبير عن مأساة الإنسان"[6] التي تكمن في النساء سواء أكان ذلك في المجتمع العام أم كان في مجتمع الرواية، "لعب الرجل فليزين الرجل لعبته ما استطاع فإن ذلك أدعى لشهوته وأملأ لعينه وأظهر لمحاسن المرأة. وأدوم للألفة والمودة"[7]. والإبداع بهذه الصورة لن يستكمل شروطه إلا إذا تحققت ضوابط موضوعية مرتبطة بالحريات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لأن المثقف بهذه الروائية يمكنه أن يجسد الواقع أو يعبر عنه على نحو وأفضل مما نطلع عليه ويظهر علينا يومياً مجسداً رؤية المتبوع للتابع[8].

إذاً فهذه هي الصورة التي يركز على إيضاحها روائيونا، فماذا يعني أن يتخيل المرأة بطلة الرواية، وهي في كامل صورة الإغراء، لينقل إلينا صورةً من صور ألف ليلة وليلة، وقد علاها غُبار التاريخ. والأدباء ولاسيما الروائيين بفعلهم هذا يُريدون أن يشدونا إلى الخلف، وهذا الفعل يُعطل حركة الحياة، وتطلعات المجتمع إلى المستقبل تُدخله في إمكانية التآلف والمودة اللتين ينتج عنهما السلم والعدل الاجتماعيان، وهنا نذهب إلى تأكيد عدم انجرار وعينا إلى صورة من اليوتوبيا عن المستقبل لا يبنى على خلفية أساسها مُقومات الواقع الاجتماعي، أو انجذابنا إلى صورة تُعيدنا إلى تبنّي قيم نُحاول أن

---

[6] -كروك شانك، جون، **ألبير كامي وأدب التمرد**، ت: جلال العشري، (القاهرة: الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1986م)، ص: 205.

[7] -الكعبي، ضياء عبد الله خميس، **صورة المرأة في السرد العربي القديم**، دراسة في كتاب الجاحظ، والأغاني، والسير الشعبية العربية، رسالة ماجستير في تخصص اللغة العربية وآدابها من كلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية، 1999م، ص: 94.

[8] -ينظر: قديد، دياب، الإبداع الأدبي والفكرة السياسية واقفاً وأماما في السبعينيات بالجزائر نموذج، مجلة الكاتب العربي والاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، دمشق عدد61 -62، تشرين الثاني 2003م، ص: 22.

ننساها في حين أن أدباءنا وروائيينا ما زالوا يجدون في ما يتناولونه مُلائماً لأذهانهم، وكلتا الصورتين تبتعد بنا عن فهم قيم العصر الجديدة، والمنتظر من الروائيين خاصة والأدباء عامة ألا يجعلونا مادة تُزين صفحات أعمالهم، وإنما يجب أن يُحاولوا الاقتراب من المُحيط الاجتماعي والطبيعي ولو كان الاقتراب بطيئاً إلى حدٍّ ما.

نجد أن الروائيين اليمنيين كعبد الولي يقدمون المرأة في أعمالهم بصورتها الناصعة المُضحية من أجل أسرتها ووطنها، إلا أنه يُغلف هذه الصورة بالجنس ويُغرق في ذلك فتخدش تضحيات المرأة ويُساء إليها.

يلاحظ القارئ بوضوح "أن شخصية "المرأة" تبرز بقوة في أعمال محمد عبد الولي القصصية التي تتخذ الهجرة موضوعاً لها، ولاسيما " المرأة في الريف" ولعل أقرب دلالة لذلك هي أصدق الدلالات أيضاً؛ فقد أبرزت تجربة الهجرة اليمنية شخصية المرأة ولاسيما في الريف -حين أوكلت إليها، بل فرضت عليها، أن تنفرد بتحمل أعباء الحياة وتكاليفها، حتى يصح أن نزعم في غير إسراف أن الحياة في ريف اليمن تدين بالفضل للمرأة أولاً، فلا غرابة إذاً أن تفرض حضورها الكثيف على الأعمال الفنية التي تتحدث عن الهجرة والمهاجرين"[9]. "ويقول جرار جينيت من السهل أن نتصوّر وصفاً خالصاً بدون عناصر نثرية، ولكن من الصعب أن نتصور العكس، لأن السرد يتلبس بالوصف"[10]. وفي هذا الاتجاه يسير الروائيون اليمنيون بالمرأة مركزين اهتمامهم على فحولة الرجل مقابل استسلام المرأة لرغبات الرجل وتلبيتها .

"فلا عجب أن نرى قضية الجنس عند "محمد عبد الولي" تشكل وفرة كبيرة! ففي روايته "يموتون غرباء" يعوض الكاتب شخصيته المأساوية "عبده سعيد" عن غربته ومرارتها بما أثار حوله من مبالغة في وصف فحولته، فقد شاع أنه ذاهب بنفسه إلى بعض نساء الفيلات ذات الحدائق غير المتناهية الخضرة ويقال إنه ضاجع امرأة في الخمسين، والكاتب يرتكز على الجنس في معظم قصصه (فنعمان) في (صنعاء مدينة

[9] -رومية، وهب، مشكلة الهجرة في أعمال محمد عبد الولي القصصية، مجلة اليمن الجديد، ع 6، مؤسسة سبأ للصحافة والأنباء، صنعاء، حزيران 1987م، ص: 78.

[10] -حميد، رضا، **المكان في اللص والكلاب**، المصدر السابق، ص: 79.

مفتوحة) نسخة أخرى من عبده سعيد، إن محمد عبد الولي يجعل الجنس تعويضاً لأبطاله المعذبين حيث يشكل في نهاية الأمر انتقاماً من العذابات التي تلاحقهم"[11].

وكان محمد عبد الولي في روايته "يموتون غرباء" قد جعل الجنس محوراً يقدم به شخصيات روايته ويعالج مشكلاتها الاجتماعية وغيرها من المشكلات التي تواجههم في الحياة اليومية، ومن ذلك شخصية طائتو، "إذ كانت هناك فتاة عمرها في السادسة عندما حضر عبده سعيد إلى الحي وفتح دكانه وكانت تستمع إلى ما يقال عنه..، وكانت تكبر ويكبر معها حلم في أن يمتلكها عبده سعيد هذا الذي صورته أحلامها فارس الفرسان تماماً...، كذلك العملاق الذي ركب حصاناً وبيده رمح يمزق به جسد حيوان خرافي مخيف كالمعلق فوق الجدار عند سرير أمها...، وقد كانت ترى أمها وهي تنحني كثيراً أمام هذه الصورة، وصورة أخرى لامرأة سمراء جميلة وجهها ينبعث نوراً وبيدها طفل أسمر جميل يبتسم.

كانت الطفلة تظن أن أمها تركع أمام عبده سعيد لأنها سمعتها تتحدث عنه كثيراً بحب وإعجاب وتذكر مرات كثيرة ذهبت فيها إلى دكانه وكانت تلح على أمها أن ترسلها بدلاً من أن تتعب نفسها وكانت أمها توافق، كانت تقف ساعات أمام عبده سعيد تقيس جسده العملاق ووجهه الطفولي الشكل وعينيه العميقتين كالفارس المعلق في غرفتها، وبلغت الخامسة عشرة... وكانت أحلامها تعذبها -فهي ترى الجميع يتحدثون عنه، بل يقولون أحياناً بصراحة إنهم عرفوه، وذهبت إليه إنها تذكر جيداً كل شيء، كان الوقت مساء والساعة منتصف التاسعة، والليلة مقمرة بعد مطر خفيف، وريح تهز أشجار الشارع، ولم يسمع في المساء زئير الأسود في الحديقة، وكانت ترتجف، ولم تكن مرتهبة فلقد انتظرت هذه اللحظة سنوات طويلة لكنها كانت تريد أن تعرف ما الذي سيحدث

نظر إليها كالعادة وقال:

مرحباً طائتو ما الذي تريدينه؟.

[11] -شريف، محمد حامد، **الاتجاه الواقعي في قصص الأديب اليمني محمد أحمد عبد الولي**، (طنطا: التركي للكمبيوتر وطباعة الأوفست، ط1، 1991م، ص: 32.

أوه لا شيء، أبداً لقد جئت من ... أجل... أوه.

ونظر إليها وهو يبتسم واستمرت هي في حديث مضطرب.

أوه... لقد نسيت لعنة الله على الشيطان...، أيها القديس جرجس ساعدني، لكنه وقف خلف دكته ينظر إليها كالعادة.

وكادت تنفجر فيه بغضب...، لماذا لا يتحرك؟ لماذا يقف بابتسامته البلهاء؟ لقد كرهت أول مرة ابتسامته وكانت تنظر بحُمى إلى جسده العملاق... وكانت عيناها تائهتين.

وبدأ يدرك، رأى صدرها في حركاته الثائرة... ورمانتين -تكادان تمزقان صمت الثوب القديم، وشفتاها قد انفجرتا عن أسنان بيض مفرقة... عرف كل شيء... ولم يبتسم.

كان هناك بجانب الباب الكثير من الأكياس الفارغة بجانب أكياس أخرى، لا تزال مليئة بالدقيق والسكر والرز وأشياء أخرى، رأت الباب يغلق بهدوء ورأت نفسها ترتفع، وكانت نائمة على الأكياس الفارغة، وأول مرة في حياتها نامت في الدكان... وأول مرة أيضاً نامت امرأة في الدكان وشهد الباب الخلفي ومن ثم السور... فتاة سمراء تقفز إلى الشارع، وعلى شفتيها ارتواء أعوام عشرة"[12].

لننظر كيف جعل محمد عبد الولي في روايته "يموتون غرباء" عبده سعيد أسطورة في الجنس تتمحور حولها أحلام النساء ورغباتهن لإشباعهن جنسياً بما في ذلك صغار السن منهن، إن يكبرن يذهبن إليه لتحقق حلمهن فيه، وهذا يدعونا إلى الانتباه لنوع المكانة التي يمنحها الأديب للمرأة في أعماله ملخصة طموحها لإرضاء أنانية الرجل. وكذلك هو في أعماله الأخرى الروائية والقصصية التي تحتل المرأة فيها المكانة الدنيا فضلاً على أنها الوسيلة لإمتاع الرجل من دون اعتراض وتكون في ذلك قد جنبت نفسها الغضب والعقاب، وحظيت بالرضا.

ونحن نرى المرأة في العالم القصصي وقد سلبت ملامحها الفردية وقرت في القالب نفسه للصورة المثالية التي يرسمها المجتمع وينتظرها من هذا النوع من النساء قالب مقوماته الانصياع والخضوع والسلبية وانعدام العدوانية والتضحية بالذات وتحمل المشاق والصبر على المكاره والرضا بالواقع والرحمة والشفقة والعطاء إلى جانب الرقة

[12] -عبد الولي، محمد أحمد، **رواية يموتون غرباء**، (بيروت: دار العودة، ط 3، 1981م)، ص: 20 -22.

والعذوبة أيضاً. غير أن صورة المرأة المثالية ليست بالصورة الوحيدة التي نلقاها في القصص العربي وليست بالوجه الوحيد من أوجهو التَشيئ إذ تتعدد صور الازدواجية والانقسام والتَشيئ في صور الشخصيات النسائية التي تطل علينا من العالم القصصي[13].

وهذا ما نلاحظه في أعمال محمد عبد الولي الروائية والقصصية، فنعمان في "صنعاء مدينة" مفتوحة لا هم له إلا الاستمتاع مع امرأة أخرى، ويهجر زوجته للكد والعمل والشقاء في البيت والحقل، وكأنه غير معني بالأمر عدا اهتمامه بمتعه وعلاقاته الجنسية واتكاله على زوجته للاهتمام بمعيشته وأسرته.

وذلك ما بينه نعمان في مراسلاته مع صديقه إذ "أقول لك الحق إنني شعرت بالمتعة الحقيقية مع هذه الفتاة أكثر مما عرفتها مع غيرها حتى زوجتي، كانت يا صديقي امرأة محرومة من زوجها منذ سنوات، وأنا لا أجد ما أريده في المنزل، زوجتي في عملها منذ الصباح حتى المساء...وأنا لا عمل لي منذ الصباح حتى المساء، وهكذا وجدنا أننا نستطيع أن نهب بعضنا السعادة، لقد كانت بداية علاقتنا... علاقة بريئة، ولكن لماذا لا نستغل الفرصة... ونتمتع، هل هناك مانع... في داخل أنفسنا، لكن كنا خائفين في البداية ...ولكن خوفنا تلاشى عندما أدركنا... أن سعادتنا هي فوق كل خوف"[14].

ألا يدعونا هذا إلى التفكير في حقيقة العلاقة القائمة بين الرجل والمرأة ضمن مجتمع الرواية بالمكانة التي يمنحها الكاتب في أعماله للمرأة، إذ تكون في حال تسمح للرجل باستغلال جسدها وجهدها ووقتها مسخراً كل ذلك من أجل راحته. ولو أدى ذلك الأمر إلى إيهامها بقدرتها على فرض سيطرتها المزيفة في البيت باستخدام وسيلة الجنس من قبلها لتحفيز الرجل أو كبته.

إن ما ذكر ينطبق على الرواية اليمنية، إذ يجري التركيز على ما يدور في السطح الاجتماعي، وإغفال ما وراءه ويتسبب في إذكاء الصراع الاجتماعي بين طرفي

---

[13] -الزيات، لطيفة، **من صور المرأة في القصص والروايات العربية** (القاهرة: دار الثقافة الجديدة، 1989م)،د.ط، ص: 40.

[14] -عبد الولي، محمد أحمد، **رواية صنعاء مدينة مفتوحة**، (بيروت: دار العودة، ط 1، 1986م)، ص: 23.

المجتمع. وعلى سبيل المثال: الكاتب حسين سالم باصديق في روايته "عذراء الجبل" يسير في هذا الاتجاه المرسخ فكرة الالتواء على عقلية المرأة عن طريق تلبية بعض طلباتها ويتبين ذلك بالنص الآتي: "لم تجد نفيسة الفرصة فطغت عليها قوة وصرامة زوجها. تذللت له كثيراً لتقصم ظهره فينساق وراء شهواته ويحقق لزوجته الصغيرة الجديدة كل رغباتها، الأمور كانت تسير عكس رغباتها، كان زوجها لا يعجبه بما تدلله به، فهو لا يهمه من المرأة غير مضاجعتها"[15].

ويستطيع الباحث في هذا الجانب من العلاقات والصلات، أن يميز نوعين من العلاقات، فثمة علاقات عاطفية صادقة، ويتجلى أكثرها في صفوف المناضلين والمثقفين الثوريين، ممن ينتمون إلى الطبقة الكادحة، وثمة علاقات زائفة، تكاد تكون محصورة في بعض الأوساط البرجوازية المثقفة، وفي صفوف بعض الثوريين المزيفين[16].

نرى في ذلك أن من المستحيل عدّ المرأة قوة مولد فقط، إنها عند الرجل شريكة ومولد ومتاع للشهوة وإنها الطرف الجنسي الآخر ومن خلالها يبحث الرجل عن ذاته[17]، وهناك من ناحية أخرى دراسات جورج بوليه وجان بيير ريتشارد "التي تندرج تحت ما يطلق عليه القصدية الأدبية وهي تهتم اهتماماً خاصاً بلغة الكاتب وما ينطوي عليه من إيماءات، يمكن الكشف عن دلالاتها"[18] التي نجد أنها تتمحور حول مكانة المرأة في الرواية العربية ولاسيما الرواية اليمنية إذ يتم التركيز على ما يجب أن تقدمه المرأة لأسرتها ولاسيما الرجل الذي يرى أنه السيد فلا يعصى له أمر ولا تؤخر له حاجة، وفي ذلك تكون المرأة قد بلغت رضا الرجل، إذ تصبح المرأة "مادة للذة الرجل وللإشباع

---

[15] - باصديق حسين سالم، **رواية عذراء الجبل**، (عدن: وزارة الثقافة والإعلام، 1988م)، ص: 66.

[16] -ينظر: الشامي، حسان رشاد، **المرأة في الرواية الفلسطينية 1965 - 1985م**، (اتحاد الكتاب العرب 1998م)، ص: 59 - 68. وينظر أيضاً: الراعي علي، **الروية في الوطن العربي**، (القاهرة: دار الناشر العربي ط1، 1991م)، ص: 260.

[17] -دي بوفوار، **الجنس الآخر**، نقلته إلى العربية لجنة من أساتذة الجامعة، (دمشق: دار أسامة، د. ط، ص: 30.

[18] -ياسين، السيد، **التحليل الاجتماعي للأدب**، (القاهرة: مركز الأهرام الدراسات السياسية والاستراتيجية، ط2، بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر، 1992م)، ص: 43.

الضروري له للشعور بهويته ورجولته "[19]. "وإلى هذا يشير عيسى الناعوري في "ليلة في القطار، حيث ذكر أن الرجل الشرقي لا يبحث إلا عن الجنس في أي بلد غربي يزوره"[20].

ومع أن الشخصيات المعبرة عن هذه الصورة في الرواية العربية موجهة من المرأة كجنس إلى الرجل ليس زوجاً وإنما جنسياً أيضاً بعدّه مستلب حريتها، ولا يتعامل معها على أنها كائن بشري له إرادة يجب أن تحترم وعواطف ينبغي أن تقدر، فقد تطور معنى الحب ليسمو بالعلاقات بين الرجل والمرأة، وحتى لا يصبح عبودية لا خير فيها للجنس الإنساني والحب ليس أن تهب ولا توهب بل أن تعطي وتأخذ[21].

يُلاحظ أن عبده سعيد يُمارس الانتهازية بأبشع صورها عن طريق إدراكه لحاجة المرأة الجنسية فيستغل ذلك من أجل تحقيق أغراض خاصة، مثل التهرب من الضرائب، كما يوضح هذا الأمر عبد الولي في رواية "يموتون غرباء"، كما يبينه النص الآتي :

وعاد من جديد إلى السرير وكانت ملابسه تنام في أنحاء متفرقة من الغرفة، كانت الحرارة مرتفعة في الغرفة لذلك تمدد دونما غطاء.

-متى ستأتي غداً.. إنني أنتظرك أنت تعرف أن كل ما نعمله محرم علينا، ولكن لا أحد يستطيع أن يمنعنا ما دمنا نريد ذلك، أليس كذلك؟.

أنت أيضا تعرف ذلك.. إن ذلك ليس حراماً ما دمنا نرغب فيه مادام ذلك في مصلحتنا، كل ما هو في مصلحتنا فهو حلال، حلال... أنت توافقني، إنك صامت قل كلمة يا حبيبي بل يا رجُلي القوي.

-أوه.. لا أعرف أنتِ تعرفين إنني لم أدفع الضرائب منذ مدة طويلة، وقد ساعدْتِني أنتِ في ذلك كثيراً، سمعت أن هذا الملعون الأرمني يريد أن يكشف الأمر... أنتِ تعرفين

---

[19] -ينظر: آني آنزيو، **المرأة الأنثى بعيداً عن صفاتها** -رؤية اجماليه للأنوثة في زاوية التحليل النفسي، ترجمة: طلال حرب، ط1، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1412هـ - 1992م)، ص: 18.

[20] -عبيدات أروى عبد الله فارس، **صورة المرأة في الرواية الأردنية 1948 -1985**، (الأردن: وزارة الثقافة، 1995م)، ص: 72.

[21] -وادي، طه، **صورة المرأة في الرواية المعاصرة**، (القاهرة: دار المعارف، 1994م)، ص: 74.

أنني فقير أتعب من أجل أن أربح سنتاً واحداً، هل ستحدثين زوجك حتى يساعدني، إنه موظف كبير يمكنه أن يتلاعب في القضية.

كانا ممتدين فوق السرير... كل ينظر إلى الآخر لحظات، ثم يغيب في أفكاره الخاصة[22].

إذاً فالراوي بهذا النص يجعل المرأة ساذجة، ومن السهل إقصاؤها عن استخدام العقل ليكون إشباع رغبة الجنس عندها هو مَن يوجه تصرفاتها. وهذا يجعلنا نتساءل عن المشكلة التي توجه وعي القاص أو الروائي وغيرهما، مما يدفعهما إلى التركيز على الجنس قضية رئيسة لطرح قضايا المجتمع ومشكلاته، وهل تكمن في تشرب ثقافة المجتمع بطريقة خاطئة أو هي طبيعة قوة عادات المجتمع وتقاليده التي تعكس نفسها على وعي الكاتب والأديب؟ ولأن الثقافة هي أمر منوط بالمجتمع الإنساني ما يدل على أن هذه الغريزة وما يتعلق بها ليست من ثقافة المجتمع الإنساني، وإنما هي من عمل المجتمع البشري المشترك مع الكائنات الحية كلها، ولو أن الثقافة تؤثر فيها في الواقع، ولكن ما ينبغي أن ينعكس الحالة فتصبح غريزة الجنس تؤثر في الثقافة بل تصبح أحد مقوماتها، كما هو سائد الآن في المجتمعات الإنسانية، فالثقافة هي الرصيد الذي يحمله المجتمع الإنساني من فِكَر ومشاعر وأخلاق وفن وأدب وتاريخ وتراث، ...إلخ.

لذا تمتاز المجتمعات الإنسانية عن بعضها باختلاف ثقافتها ونضوجها لأن الثقافة هي بمنزلة هوية المجتمع، ثم هي من الأمور الخاصة لكل مجتمع إنساني، والفرد تتكون ثقافته وشخصيته على الصعيد النفسي والعقلي بناء على ثقافة المجتمع الذي يصنع ويصوغ شخصية أفراده[23].

ولذلك لابد أن يتحرى الأديب ما يدور في المجتمع ويحدث فيه حتى يستطيع التعبير عن همومه بصورةٍ أدق، فالمرأة في معظم هذه القصص الشعبية كثيراً ما تظهر

---

[22] -عبد الولي، محمد، **رواية يموتون غرباء**، المصدر السابق، ص: 38.

[23] -ينظر: إسلامبولي، سامر، **المرأة مفاهيم ينبغي أن تصحح**، (دمشق: الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعة، ط1، 1999م، ص:57 - 58.

بهيئة الجارية الفاتنة اللعوب والشيطانة في ألاعيبها، والداهية في مكرها وكيدها، والعاشقة الفاتنة في عشقها، والإيجابية في موضوع الحب والجنس مثل الشياطين والجان.

فالمجتمع بكونه رسالة إنسانية تهدف إلى الارتقاء بالوعي العام للمجتمع وكشف الأخطاء له ليتسنى بعد ذلك انتقادها وإصلاحها ثم التطلع إلى حياة جميلة تخلو من الانتقاص لأي من طرفي المجتمع، وعلى هذا المنوال يؤكد "حسين مروة بأن الشعر وكل فن غيره هو تحول خلاف من الواقع الاجتماعي إلى الواقع الفني، وهو في الوقت نفسه، وبجدلية موضوعية، شحنة طاقة بخصوصيات متنوعة، لتحويل الواقع الفني إلى قوة مادية فاعلة، إلى طاقة تغيير وتحويل في الواقع الاجتماعي والطبقي ذاته إلى رافد فني في مجرى النهر الكبير نهر الحياة والإنسان"[24].

إذاً فنظرة الأديب إلى المرأة والمجتمع يُنتظر منها أن تكون هادفة لتحقيق العدالة للكل الاجتماعي وتطوير الوعي حتى يستوعب كلاً من الرجل والمرأة على حدٍ سواء؛ في حل للوئام الاجتماعي بدلاً من الصراع الذي يقلق الأسرة والمجتمع، بعد أن تعرفنا في هذا الموضع على نظرة الأديب وكيف أن آراءه تخلق وعياً إما مُزيفاً، وإما مُستنيراً وفقاً لما يحمله من فِكَر إفادة من مُستجدات العصر ما زالت تحتكِم إلى الماضوية وآثارها السلبية في منعنا من العيش طبقاً لتطلعاتنا المُستقبلية التي تخلو من الزيف والتزييف، لننتقل في العنوان الثاني إلى الحديث عن المرأة ومكانتها في الأسرة.

المرأة ومكانتها في الأسرة:

لقد تعرّفنا في الجزء السابق من هذا البحث إلى نظرة الأديب ونوع الفِكَر التي يُكرسها في أعماله عن المجتمع والمرأة، ولتتضح الصورة فإن هذا الجزء يتعمق في التحليل عن مكانة المرأة في الأسرة حتى نُظهر ما تُقدمه النصوص الروائية اليمنية بأسلوب منهجي نتعرّف به على ما يحدث في مجتمع الرواية. وعندما نقرأ الأعمال الروائية عن مكانة المرأة في الأسرة وأهمية دورها الذي نعيه جميعاً نتوقع من الوهلة الأولى أن هناك نظرة واعية يُقدمها الأديب، ولكن ما يحدث هو أن الأعمال الروائية

[24] -سليمان، نبيل، **سيرة القارئ**، (اللاذقية: دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، 1996م، ص: 22.

تُركّز على فِكر معين ينمُّ عن ميل محدد من قِبل الرجل نحو المرأة، وهذا ما يُؤثر في العلاقات الإنسانية، هذه الكِتابات تُكرّس الفِكَر ذاتها في المجتمع، وبذلك لا يتلقى القارئ أي معلومات تُساعده على فهم حقيقة الحياة بين طرفي المجتمع، وهذه المُمارسات تبدأ في الأسرة ثم تعُم المجتمع العام. وسنبدأ باستجلاء هذه الصورة عن مكانة المرأة عند محمد عبد الولي الذي يُعد أهم كاتب روائي يمني فقدته الساحة الأدبية في أوج نشاطه في سبعينيات القرن السابق، وكان جُل اهتمامه تطوير الفن الروائي في اليمن والوطن العربي لمعالجاته قضايا المجتمع بواقعية ووضوح.

إن محط بدايتنا دائماً تبدأ من محمد عبد الولي لأنه أغزر الكُتاب الروائيين اليمنيين، وأكثرهم ملامسةً للواقع المعيش حتى وإن استقى مواضيع كتاباته من خارج البيئة اليمنية إلا أن تلك المواضيع تظل مُتصلة باليمنيين عن طريق المُهاجرين وما أكثر هجرة اليمني ومن أولئك المرأة التي تُكون محوراً أساسياً في كل أعماله.

فمثلاً ها هي المرأة في قصة "الأرض يا سلمى" لمحمد عبد الولي يُقدمها وهي تعاني ابتعاد زوجها عنها في بلد الغُربة، وتحمل همه، وتخاف عليه من مشقة الاغتراب، فتخالفها صديقتها الرأي إذ تنبهها إلى أن الرجل ببعده عن أسرته ينسى كل شيء في بلده، وينشغل بما يكسبه من المال، ونساء المهجر، وما عدا ذلك لا يذكره إلا عند عودته إلى البلد، وهو ما اتبعه عبد الولي في رواية "يموتون غرباء" وبقية أعماله.

"وما أدراك يا سلمى أنه وحيد ؟ لا تجعلي وجهك يصفر ولا ترتجفي، فكل شيء ليس سوى افتراض. فهو قد يكون وحيداً وقد لا يكون، فالرجال لا أحد يثق بهم.. خاصة حين يكونون بعيداً، لا تراهم عيوننا، فلم لا يكون زوجك أحدهم ؟ أنت تعرفين قصة عمك، زيد الذي ترك زوجته منذ عشرين عاما ولم يعد، إنه حي وله زوجة وأولاد ويقولون: إنه لن يعود وزوجته لا تزال تنتظر هنا"[25]. إذاً فالمرأة اليمنية في أعمال عبد الولي ما عليها إلا أن تنتظر، وتعمل، حتى يأتيها الموت من الشقاء، والتعب، أو يعود

[25] -عبدالولي، محمد، **الأرض يا سلمى**، كتاب في جريدة تشرين، العدد 86، الأربعاء 3 تشرين الأول 2005م، ص: 25.

أحد أقربائها من غُربته سواء أكان أخاً، أم كان زوجاً، وفي الغالب تكون عودته نادرة إذ تفنيهم الغربة قبل العودة.

إذاً فحظ المرأة اليمنية عند عبد الولي كما يُبينه في رواية "يموتون غرباء" وغيرها من أعماله هو أن تكدح، وتشقى من أجل أسرتها في البيت والحقل فضلاً على جلبها للحطب فهي إذاً بجهدها تُبقي نار الحياة في البيت مُشتعلةً وحية لكي لا يموت الأمل عند أسرتها بغياب الرجل، كما فعل ذلك عبده سعيد الذي تأثر بحديث النسوة عن جمال ما يمتلكه المهاجرون من منازل، وكثرة أموالهم فكان ذلك سبباً في هجرته. "عندما لمح بعض النسوة يقفن في الطريق وقد وضعن أحطابهن على سور من الحجارة... وهن يسترحن من رحلة التحطيب سمع وهو يمر بجانبهن إحداهن تقول:

-انظري إلى ذلك المنزل... ألا يشبه بيوت الجنة ؟.

-نعم إنه أبيض وجميل.

وقالت إحداهن... وكانت جميلة وشابة:

يا ترى... من صاحب هذا المنزل السعيد ؟.

وضحكت أخرى وقالت:

-ومن هي صاحبته"[26].

وفي قصة "الأرض يا سلمى" نلاحظ المرأة وهي تعمل طوال اليوم من دون توقف لأخذ قليل من الراحة، وهي التي ظنت أن الانتقال إلى بيت الزوجية سيُريحها من عناء العمل المتواصل ومشقته، فها هي تسأل ما الجديد في حياتها إلا المزيد من الجُهد المُضني وكأن المرأة تُصاب بخيبة الأمل ولا فكاك لها مما فُرض عليها في بيت أبيها، أو بيت زوجها.

ومع هذا تلاقي المرأة الكثير من المضايقات، إلى جانب سوء الظن بها من الرجل الذي لا هم له إلا تقييم الآخرين ولاسيما المرأة. ولو كانت تعمل من أجل معيشة أسرتها، وها هو الرجل في قصة "وكانت جميلة" في مجموعة "شيء اسمه الحنين" لعبد الولي يشرح نظرة الرجال إلى المرأة التي تعمل من أجل العيش بكرامة هي وأسرتها،

[26] -عبد الولي، محمد، **رواية يموتون غرباء**، المصدر السابق، ص: 27 -28.

ومن أجل ذلك هي تعمل من تسع عشرة ساعة إلى عشرين ساعة كما هو واضح في حال المرأة في قصة "الأرض يا سلمى" وهذا يبين أن الرجل يقضي وقته بين العمل في وقت الصباح وبقية وقته يُهدره مع غيره من الرجال في تناول القات والتسلية ليرموا الحمل كله على المرأة، وكذلك الأمر في قصة "وكانت جميلة"، إذ لا هم للرجال إلا الحديث عن المرأة التي تعمل وكيف يستطيعون الوصول إلى تملّكها: "وأصبحنا نحبّها جميعا، وكل حب يختلف عن الآخر، هناك من يريدها زوجة وآخر يريدها عشيقة وثالث يريدها من أجل مالها"[27].

فها هم يختلفون في كيفية العلاقة معها وكلٌّ له هدفه منها وهي لا تعبأ بهم منصرفةً بجهدها ووقتها في عملها، والقصة ترمز لمعنى أعمق ومغزى أبعد، بل إن الأشخاص أداة تكوين الحكاية يصبحون أيضاً رمزاً لمعانٍ أخرى خارج وجودهم الفردي، ومن هنا كانت صورة المرأة في رواية "يموتون غرباء" وكذلك في رواية صنعاء مدينة مفتوحة تعبر عن أزمة الفرد في علاقاته بمجتمعه ولاسيما نظرته إلى المرأة التي لا تتجاوز كونها محط الازدراء؛ فهي العاملة، والفلاحة، والمربّية، وفوق هذا لا يُنظر إليها إلا كونها أداة للمتعة والعمل، ولذا تبقى المرأة فيها تحت القلق وعدم الاستقرار بسبب ما يُمارس عليها الرجل من ضغوط سواء أكان أباً، أم كان أخاً، أو كان زوجاً؛ وذلك عن طريق القمع في بيت أسرتها، أو في بيت زوجها. وهذه الصورة تُبين قتامة الحالة الاجتماعية للرجل والمرأة وصعوبة تجاوزه مادام الوعي لم يأخذ طريقه إلى التطور بل يظل الإحساس لدى المرأة بالدونية وعدم الثقة بالآخر، ولاسيما أن الأعمال الروائية تكرّس ما اعتاده الوسط الاجتماعي من مُمارسات وفِكَر تقليدية تؤكد في بعض السياقات دونية المرأة مقارنة بالرجل ونجد أنه في سياقات أخرى تؤكد ذكاءها وفطنتها ودهاءها[28].

---

[27] -عبد الولي، محمد، وكانت جميلة، في مجموعة **شيء اسمه الحنين**، (بيروت: دار العودة، ط2، 1978م)، ص: 17.

[28] -الكعبي ضياء عبد الله خميس، صورة المرأة في السرد العربي القديم، دراسة في كتاب الجاحظ، والأغاني، والسير الشعبية العربية، رسالة ماجستير في تخصص اللغة العربية بيروت، 1996م.، ص: 74.

وإن كانت المرأة توصف بهذه الصفات فهي تُسخرها في سبيل الحفاظ على كيان الأسرة والدفاع عن حياة أولادها، والرجل يستغل جانب الحنان فيتغلب بذلك على جانب دهائها، فتسلب منها إرادتها، وتصادر منها مكانتها؛ لتظل محكومةً بأعراف، وتقاليد المجتمع، ثم إن النظرة الجنسية إلى المرأة من الرجل تُلغي أيضاً الاعتراف منه بقُدراتها، ومكانتها المستحقة[29]. وهذا ما يتجلى واضحاً في رواية عبد الولي "صنعاء مدينة مفتوحة" وعلى لسان نعمان وهو يتحدث عن زوجته هند فيُشخص مكانتها وفق النص الآتي:

"إن الزواج والحب في بلادنا... ليسا سوى مجرد لعبة الرجل بالمرأة التي ليست سوى خادمة...للأرض... والبيت... والزوج، إنها مجرد زهرة تتفتح قليلاً ثم تموت... حين ينهكها العمل، وكذلك هي وزوجتي... كانت ناضرة... كزهرة... فأصبحت الآن عوداً يابساً، وأصبحت... مع أنها لم تتجاوز الخامسة والعشرين... عجوزاً كأنها على أبواب قبرها، إنها منهكة مريضة[30].

من النص يتبين أن هنداً قد أصبحت عجوزاً وهي بعد لم تتجاوز سن الخامسة والعشرين وذلك لأن الرجل يستنفد كل طاقات المرأة لما تتحمله من أعباء فوق قُدرتها، ومع هذا نرى أن الراوي يُحدد مكانة المرأة في أسرتها من النص السابق واصفاً إياها بالخادمة في الأرض والبيت ولزوجها أي إنها لا تستطيع القفز على ما يهبُها الرجل من مرتبة، وهكذا هو وضع النساء سواء أكان ذلك في الواقع الاجتماعي، أم كان في مجتمع الرواية. كان الرواة أو غيرهم من الكُتاب لا يستطيعون تقديم توجيه الوعي الاجتماعي الوجهة الصحيحة، أو تسخر أعمالهم الأدبية لنقد ما يعيشه الناس من وعي مُتخلف؛ فإن التقدم نحو العدالة لكل أعضاء المجتمع سيكون عسيراً.

إذ كان وضع المرأة في المجتمع كله مرتبطاً ارتباطاً مباشراً بقدرتها على إنجاب ورثة من الذكور فضلاً على أن إنجاب البنات كان يعد أمراً مذلاً، وكان عدم

وينظر: دي سوشيه، جاك، برتولت بريشت، ت : صياح الجهيم، دراسات عالمية 21، دمشق: وزارة الثقافة 1993م، ص: 48 -49.

[29] -رايك، ثيودور - ترجمة ثائر ديب، **الدافع الجنسي**، (سوريا: دار الحوار، ط 2، 2001م)، ص: 52.

[30] -عبد الولي، محمد أحمد، **رواية صنعاء مدينة مفتوحة**، (بيروت: دار العودة، ط 1، 1986م)، ص: 18.

إنجاب الأولاد الذكور في الكثير من الأحيان سبباً كافياً للطلاق ولو كان ذلك بعد مرور وقت قصير على الزواج، إن الضوابط الصارمة التي كانت تمارس على المرأة جعلت مبادراتها المستقلة محدودة للغاية، فَبَعدَ سن البلوغ أو قبله كان يحظر عليها إقامة أي صلات اجتماعية بالرجال من خارج دائرة المحرمين عليها، ومن الأمور التي كانت تنال تقديراً عالياً عذرية الفتاة قبل الزواج وإخلاصها الجنسي بعده، وتراوحت العقوبات على خرق هذه القواعد، رد الظن بخرقها بين الخلد والموت على أيدي الأزواج والأقارب من الذكور انتقاماً لفقدان العرض الذي يعتقد بأنه يحدث نتيجة هذه الأفعال، في الوقت نفسه كانت الحرية الجنسية للرجل أقل تقييداً فكان يسمح له بتعدد الزوجات وبالمحظيات[31].

فالنظرة إلى المرأة على أنها جنسي يجب الحفاظ عليه بعزله عن مجتمع الرجل، وهذه الحالة لا يقتصر فيها على اليمن، وإنَّا نجد ذلك في عموم المجتمع العربي، وفي رواية "العودة من الشمال" لفؤاد القسوس ما يعبر عن ذلك: "فأم سلمى تقول لابنتها حين برز صدرها أصبحت كبيرة يا سلمى إياك واللعب مع الأطفال ولا تتحدثي مع أحد حتى جيراننا إلا بحكم ما تفرضه الجيرة علينا"[32].

ولهذا نكتشف أن الرواية اليمنية تعبر عن العلاقات بين الرجل والمرأة في اختيار المكان فيكون في الغالب خارج اليمن، لأن البيئة اليمنية بتحفظها لا تُتيح مجالاً واسعاً ورحباً لذهن الأديب كي يتناول العلاقات الاجتماعية بين الرجل والمرأة؛ فتكون بلد المهجر بديلاً مثالياً للروائيين اليمنيين ولاسيما أن أكثرهم عاشوا فيها وكانت لهم تجارب أخصبت في أعمالهم الأدبية.

وعلى هذا المنوال كُتبت رواية "يموتون غرباء" لمحمد عبد الولي و"قرية البتول" لمحمد حنيبر و"ربيع الجبال" لمحمد مثنى وغيرهم، إذ يُلاحَظ في تناولهم للمرأة وعلاقاتها. على سبيل المثال إنهم يُسهبون في الحديث عن العلاقات الجنسية للمرأة مع الرجل، حينما تكون علاقة الرجل بامرأة غير يمنية فيظهرونها أن لا عمل لها توفر به حياتها

---

[31] - مولينو ما كسين، القانون والدولة والسياسات الاشتراكية المتعلقة بالمرأة: اليمن الجنوبي صورة المرأة في الدراسات الغربية سلسلة الدراسات المترجمة 3، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية، 1997م، ص: 224.

[32] -القسوس، فؤاد، **العودة من الشمال**، (عمان ،1977م)، ص: 258، نقلاً عن: أروى عبد الله فارس عبيدات، صورة المرأة في الرواية الأردنية 1948 -1985، (الأردن: وزارة الثقافة، 1995م، ص:17.

غير الجنس وممارسته، أما المرأة اليمنية كما يرون فدورها لا يتعدى العمل في البيت والحقل فهي أداة يُحركها الرجل كيف يشاء.

ولذلك لا نجد في الرواية اليمنية علاقات حب بين الرجل والمرأة اليمنية، سواء انتهى بعضها إلى الزواج أم لم ينته، والعلاقة بين الفتى والفتاة تكاد تنعدم، فتنعدم معها علاقات الغزل والملاحقة من بعيد أو قريب، تلك التي نراها شائعة في الروايات العربية، مصورة انطلاقات الشباب واندفاعاتهم وميولهم ونزواتهم وتمردهم[33]، إذاً كان المكان له التأثير الواضح في اختيارات الرواة ولاسيما اليمنيين لمواضيع أعمالهم في التعبير عما يُريدون قوله، سواء أكان ذلك عن المرأة أم كان غير ذلك مما يتصل بحياة المجتمع.

وفي ضوء هذا الاتجاه ركزت جميع الدراسات العلمية على تحليل الجسد ودلالته، ذلك لأن إحساس الإنسان بالمكان ينطلق من الإحساس بجسده، وهو أقرب الأماكن إليه مكمناً للرغبات ومركزاً للقوى العقلية والوجدانية والحيوانية، إضافة إلى ذلك فإن الجسد أداة لإدراك العالم فمن الوعي بالجسد يبدأ الوعي بالعالم، لذلك ذهب موريس مارلو بونتي إلى أن الجسد هو المنظومة الرمزية العامة للعالم[34].

وهكذا لوحظ أن عبد الولي قد عكس في أعماله القصصية والروائية ما تُعانيه المرأة من تعب ومشقة، لما تبذله من جهود تتجاوز في معظم الأحيان طاقتها البشرية وحين نُلامس الواقع نجد أن المرأة اليمنية كأنها قد زودت بجهد إضافي على جهدها الأصلي فضلاً على ما تتصف به من قوة الصبر والجلَد، وهذا الأمر يتطابق فيه مجتمع الرواية مع ما يعيشه المجتمع، وهذه هي الصورة عن مكانة المرأة في الأسرة كما قدمها عبد الولي، ونرى الصورة ذاتها تتكرر عند يحيى الإرياني.

---

[33] -خصباك، عائد، **خصوصية الموضوع في الرواية اليمنية، 1962 -1990م**، (صنعاء: مركز عبادي للدراسات والنشر، ط1، 1996م)، ص:107.

[34] -حميد، رضا، **المكان في اللص والكلاب**، ص: 69.

إن ما يُقدمه الإرياني في أعماله عن مكانة المرأة في أسرتها يُبين كما سيأتي في النصوص، فهي الخاضعة، وقليلة الحيلة، وهي مَن ينتظر ما يقطع به الرجل من رأي، بل إن مصيرها بين يديه وهذا ما أوضحته نصوص أعماله .

إذ يُظهر الإرياني شخصية الزمنتال في رواية "ركام وزهر" وكأنه الرجل الوحيد في الرواية الذي استطاع السيطرة على قلوب النساء وامتلاكها، في حين كانت النسوة في الرواية لا هم لهن إلا رضا الزمنتال عنهن، وكلهن يردن التزوج منه وهذا ما حدث في نهاية الرواية.

على سبيل المثال: أُم الخير التي لجأ إليها في قرية سمنحار، والسيدة لطيفة التي عمل عندها، وابنة اليهودي يمن التي استضافتها أُم الخير له من أجل إنجاب الذرية، عدا ذلك عمل الكاتِب على إظهار المرأة عاجزة عن فعل أي شيء من دون الرجل ،الزمنتال، ثم إنه لم يُبين دور المرأة في الأسرة وأهميته، بل ما حرص عليه الراوي هو تأكيد تبعية المرأة للرجل، ولو كانت غنية وعندها القدرة على الدخول في عالم المال والأسواق، وهذا ما سنبينه في تعامل الزمنتال مع زوجاته بالنص الآتي: "وبدأت العافية تدب بعينيها فوجهها، وقامت من سريرها تنفع نفسها، وتتمسك بأم الخير إلى جانبها نافرة من الممرضة التي كان المستشفى يرسلها، وقد صنعت لها أم الخير ما تصنعه الأم لوليدها، وهي الممرض والمؤنِس والأنيس تسقيها إن عطشت، وتطعمها إن جاعت، واطمأن خاطر الزمنتال، فاستأذن الممرض والمريض للعودة إلى سمنحار، لمعاونة المعلم ومؤانسة الحامل المنتظرة"[35].

إذاً فالراوي الإرياني يُبين الزمنتال على أنه محور أساسي، لا يمكن الأسرة أن تخرج عن طوعه وإرادته، فهو من يخلق التلاؤم بين نسائه الثلاث، فأُم الخير زوجته الأولى تعتني بزوجته الثانية في حالة مرضها، فيطمئن لذلك فيعود إلى قريته ليؤنس زوجته الثالثة، لأنها حامل ومن ستُنجب له الولد إذاً فهي من يستحق العناية ليس غيرها.

[35] -الإرياني، يحيى علي، **رواية ركام وزهر**، (بيروت: دار التنوير، ط 1، 1988م)، ص:324.

وهذا يكشف عن مدى تركيز الراوي على الرجل. وجعله يتحكم في كل أُمور الأسر ويُنظم علاقته بجميع نسائه، وتبقى المرأة منتظرة لما يُفكر فيه الزمنتال بين نسائه في العاصمة، وفي قرى الريف بين واحدة أفلست وأخرى تلد وثالثة تنتظر وأخرى تستعد للزواج منه.

"وظل الزمنتال صامتاً يتردد فمن سمنحار إلى الريحانة، يتفقد داره ويؤسس عادةً الذهاب والإياب، وقد خلق هذا التأسيس رواية الهمس الثانية، فقد تردد الهمس أن زوجته في العاصمة قد أفلست وأن ابن أبي الريحان يُفكر في بيع داره، واشتد مخاض زوجته فاقعدها مع أبيها في سمنحار"[36]. والراوي بهذه الصورة يُؤكد ما اعتاده المجتمع، فالمرأة ليست إلا للحرث، والنسل، بل إنها "تُملك كما تملك الأرض، وتنتج كما تنتج وتحرث، فهي خاضعة لفعل الرجل واختياراته، وممارساته المختلفة، وهذا تماماً ما يدل على دونيتها "[37]، التي كان من المُتوقع أن يُحاول الرواة تصحيحها، أو نقدها، وليس الاستسلام لها ولقوانينها المُتخلّفة، بما تحمله من فِكَر عدائية لروح العصر ومقوماته التي لا يُمكن لها أن تتعايش مع مُتغيرات المجتمع الحديث الذي لم يعد يقبل بالتمييز بين طرف في المجتمع، وآخر. ويمكن أن نرصد قضية التمييز بين الجنسين واضحة في الحقوق الاجتماعية والسياسية، في ممارسة الحق الاجتماعي، الحرية وإثبات الذات وإبراز القدرات والمهارات العقلية والبدنية، مع الاختلافات الطبيعية، وهذه القضية قائمة على ما هو طبيعي وما هو ثقافي، فالاختلافات الطبيعية بين الجنسين لا تعتمد قاعدة صلبة لحرمان المرأة من القيام بأدوارها الاجتماعية والفكرية والسياسية، أما الاختلافات الثقافية فهي المعرقلة حقيقة لها على أنها طاقة فاعلة وعلى أنها عضو حيوي ومنتج، وهذه الاختلافات الثقافية لا تتأسس إلا على مجموعة من الآراء والفِكَر التي جمعتها المجتمعات المختلفة عن المرأة وعدتها في المجموع كائناً عاجزا عن العطاء، لأنه

[36] -المصدر نفسه، ص: 328.

[37] -علي، أفر فار، **صورة المرأة بين المنظور الديني والشعبي والعلماني**، (بيروت: دار الطليعة، ط1، 1996م)، ص: 34.

ليس فاعلاً في عملية التكاثر والإنجاب بل عدته منفعلاً ومستجيبا، وهي لا تملك لأمرها زماماً[38].

إذ إن مُكوني المجتمع لم تعد بينهما تلك الفوارق المانعة لِطرف عن غيره في التصدي لأعباء الحياة الاجتماعية وشغل أي دور أصبح مقياسه الكفاءة والقُدرة للرجل، أو المرأة، لكن الأعمال الروائية مازالت تعيش في عصر ما قبل الحداثة والحضارة التي تأخذ بمعيار الاحترام لِكيان الإنسان كونه كذلك سواء أكان ذكراً، أم كان أُنثى.

والإرياني لا يخرج عن هذا المنطق والنص الآتي في رواية مشاهد طويلة من الحكاية يُبين تعامل الابن مع أُمه حين شعر أنها قد أصبحت عبئاً عليه يُربك حركته وطموحاته، فأراد أن يتخلص منها عن طريق تزويجها وحين تمنعت استعان بجارته لإقناعها.

"بل هو قد استعان بجارتهم العجوز الطيبة التي فهمت، وأيقنت أنه لم يقل شيئاً يعد عند الله عقوقاً، ولقد كان وقوف جارتهم الطيبة إلى جانبه عاملاً أساسياً لإدراك المرأة الأُم أن ابنها لا يُشكل أي عقبة تجاه أي صحوة كاملة لعواطفها ومشاعرها الأنثوية الخاصة، وأدركت المرأة الأُم أن ابنها لا يخجل إطلاقاً في حال تجسيد الرغبة عندها لتجديد حياتها، وكانت جارتهم العجوز الطيبة قد تابعت الكثير من خلافاتهما ومُشاحنتهما والتي كانت الأم لا تكف عن اختلاقها، وقد ترك كل ذلك في نفسية العجوز الطيبة مشاعر التعاطف مع الابن العاجز عن تلبية أحلام الأرملة، وترك كذلك حذراً لدى الجارة الطيبة تجاه الأُم. ومن جهة أخرى أدرك أن جارتهم الطيبة تتعاطف معه من دون أن تكون قد عرفته المعرفة الكاملة فقد سمعها تقول لأُمه:

- وماذا في ذلك، إن النساء يتزوجن مرةً أخرى.
- قالت الأُم: أعترف بأني لا أحتمل سماع ذلك منه.

[38] -معتصم، محمد، **الخطاب الروائي والقضايا الكبرى (النزعة الإنسانية في أعمال سحر خليفة)**، (الدار البيضاء: 1991م)، ص: 18.

- قالت جارتهم الطيبة: ومن غيره يستطيع طرح الأمر عليك، إن دماء الشباب جديدة فلا تتزعجي.
- ثم همست في أذنها: لو كنتُ في مثل سنك لما سددت أذني كنتُ سأسمع على الأقل..!!"[39].

وهذا النص يكشف عن عدم الإخلاص من الرجل للمرأة فبمُجرد أن أُمه قد كبرت وليس لها نفع له، بل إنها قد أصبحت في نظره مُعوقاً لحياته وما يرغب فعله، ولو كان شيئاً غير خلقي إذاً فمكانة أُمه وما كانت تعمله في البيت يُمكن استعاضتها بامرأة غيرها، وها قد لاحظنا كيف أن الإرياني لم يتجاوز إفرازات ثقافة المجتمع، بل إنه في ثنايا نصوصه الروائية أكدها وبحوارات شخوص ورواياته ويُبين أن المرأة ليست إلا عبئاً يُعيق طُموحه في الحياة هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فهي عاجزة وعالة على الرجل، ومهما امتلكت من قدرات، أو أموال فإنها تظل مُنتظرة لوقوف الرجل إلى جانبه، أو من دونه لا يمكنها فعل أي شيء، وكأن الراوي لم يستطع خلع ثوب قيم المجتمع التقليدية الجامدة، فانعكس ذلك على كِتاباته.

خلاصة البحث:

من استعراضنا لصورة المرأة في الرواية اليمنية بالتركيز على روايات محمد عبد الولي وعبر القراءة السوسيولوجية نلحظ أن القيم الاجتماعية وعبر سلاح العادات والتقاليد والعُرف تظل مُهيمنة على ممارسات المجتمع ووعيه بمن في ذلك الكُتاب الذي يُفترض أنهم يأخذوا على عاتقهم عملية قيادة التغيير الإيجابي لوعي المجتمع، وإفساح المجال نحو علاقة إيجابية بين طرفي المجتمع، وفئاته، وطبقاته المختلفة على قاعدة المساواة، والعدالة، والاحترام، وصلنا إلى الاستنتاجات التي نُجملها فيما يأتي:

- يبدو تعامل مجتمع الرواية مع المرأة هو انعكاس حقيقي للممارسات اليومية في العلاقات بين طرفي المجتمع (المرأة والرجل) والتي ظهرت طاغية في تأثيرها على كتابة الراوي.

[39] -الأرياني، يحيى علي، **رواية مشاهد طويلة من الحكاية**، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط 2، 1996م)، ص: 62 -63.

- يظهر أن الراوي لا يستطيع التخلص من تأثير القيم الاجتماعية فيظهر ذلك في نوعية المكانة التي يمنحها للمرأة في كتاباته إذ تحتل في مجتمع الرواية وخاصةً في الأسرة المكانة الدُنيا، وهذا ناتج عن العُرف الاجتماعي المغلوط الذي ما يزال تأثيره حاسماً في ثقافة الأديب.
- تُظهِر الرواية اليمنية المرأة بوصفها العاملة، الفلاحة، وربة الأسرة تكدح وتعمل في الاتجاهات جميعها خدمةً وعطاء، تُدافع عن الأسرة، وتُلبي كل الواجبات، ولا تحصل إلا على اليسير من الحقوق.
- تبدو المرأة اليمنية وهي تؤدي الأعمال داخل المنزل وخارجه أنها تقوم بجهد إضافي على المعتاد من أجل الوفاء كما تعتقد بكل التزاماتها المتمحورة في خدمة الأسرة والرجل.

المصادروالمراجع:

- الإرياني يحيى علي، رواية مشاهد طويلة من الحكاية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2.
- الإرياني، يحيى علي، رواية ركام وزهر، بيروت، دار التنوير، ط1، 1988م.
- إسلامبولي، سامر، المرأة مفاهيم ينبغي أن تصحح، دمشق، الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، ط1، 1999م.
- آني آنزيو، المرأة الأنثى بعيداً عن صفاتها -رؤية اجماليه للأنوثة في زاوية التحليل النفسي، ترجمة: طلال حرب، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ط1، 1412هـ -1992م.
- باصديق، حسين سالم، رواية عذراء الجبل، عدن، وزارة الثقافة والإعلام، 1988م.
- الحاج عثمان، رحمة بنت أحمد، صورة المرأة في القصة القصيرة في ماليزيا والأردن، دراسة قدمت لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وأدبها كلية الدراسات العليا الجامعية الأردنية، 1997م.
- حميد، رضا، المكان في اللص والكلاب، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة والسياحة في اليمن، ع17، 1995م.

- خصباك، عائد، خصوصية الموضوع في الرواية اليمنية 1962 -1990م، صنعاء، مركز عبادي للدراسات والنشر،ط1، 1996م.
- خليفة معتصم، محمد، الخطاب الروائي والقضايا الكبرى النزعة الإنسانية في أعمال سحر ، الدار البيضاء، 1991م.
- دماج زيد مطيع، الرهينة، بيروت، دار الآداب، ط1، 1984م
- دمّاج، زيد مطيع، رواية الرهينة، بيروت، دار الآداب، وزارة الإعلام، الجمهورية اليمنية، ط 1، 1984م،
- دي بوفوار، سيمون، الجنس الآخر، نقلته إلى العربية لجنة من أساتذة الجامعة، دار أسامة، دمشق، د. ط.
- دي سوشيه، جاك، برتولت بريشت، ت : صياح الجهيم، دراسات عالمية 21، دمشق، وزارة الثقافة، 1993م.
- الراعي علي، الروية في الوطن العربي، القاهرة، دار الناشر العربي، ط1، 1991م.
- رايك، ثيودور -ترجمة ثائر ديب، الدافع الجنسي، سوريا، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط 2، 2001م.
- رومية، وهب، مشكلة الهجرة في أعمال محمد عبد الولي القصصية، مجلة اليمن الجديد، ع6، مؤسسة سبأ للصحافة والأنباء، صنعاء، حزيران، 1987م.
- الزيات، لطيفة، من صور المرأة في القصص والروايات العربية، القاهرة، دار الثقافة الجديدة، د.ط، 1989م.
- السعداوي، نوال، الرجل والجنس ، القاهرة، دار مطابع المستقبل، ط1 ، 1991م.
- السعداوي نوال، الرجل والجنس، القاهرة، دار مطابع المستقبل، ط4، 1991م.
- السعداوي، نوال، الوجه العاري للمرأة العربية، القاهرة، دار مطابع المستقبل، ط3، 1994م.
- سليمان، نبيل، سيرة القارئ، اللاذقية، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، 1996م.
- الشامي، حسان رشاد، المرأة في الرواية الفلسطينية 1965 -1985م، اتحاد الكتاب العرب، 1998م.
- شريف، محمد حامد، الاتجاه الواقعي في قصص الأديب اليمني محمد أحمد عبد الولي، طنطا، التركي للكمبيوتر وطباعة الأوفست، ط1، 1991م.

- الشيخ حفيظة، من أوراق ملتقى الرواية العربية – الألمانية، تجليات المكان في الرواية اليمنية، الرهينة نموذجاً.
- الصكر، حاتم، مفاهيم ومقتربات نظرية حول النقد والكتابة النسوية، مجلة الحكمة اليمانية، مطابع مؤسسة الثورة للصحافة والنشر، عـ 206 -207، تموز - أيلول، 1997م.
- عبد الولي محمد، وكانت جميلة، في مجموعة شيء اسمه الحنين، بيروت، دار العودة، ط 2، 1978م.
- عبد الولي، محمد أحمد، رواية صنعاء مدينة مفتوحة، بيروت، دار العودة، ط1، 1986م.
- عبد الولي، محمد أحمد، رواية يموتون غرباء، دار العودة، بيروت، ط3، 1981م
- عبدالولي محمد، الأرض ياسلمى، كتاب في جريدة تشرين، العدد 86، الأربعاء 3 تشرين الأول، 2005م.
- عبيدات أروى عبد الله فارس، صورة المرأة في الرواية الأردنية 1948 -1985، الأردن، وزارة الثقافة، 1995م.
- عرابي، عبد القادر، المرأة العربية بين التقليد والتجديد، في المرأة العربية بين ثقل الواقع وتطلعات التحرر، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة كتب المستقبل العربي، بيروت، ط1، 1999م.
- علي أفر فار، صورة المرأة بين المنظور الديني والشعبي والعلماني، بيروت، دار الطليعة، ط1، 1996م.
- غريبه الآن روب، نحو رواية جديدة، ترجمة – مصطفى إبراهيم مصطفى ، دار المعارف بمصر، د.ت.
- قديد، دياب، الإبداع الأدبي والفكرة السياسية واقفاً وأما ما في السبعينيات بالجزائر نموذج، مجلة الكاتب العربي والاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، دمشق عدد61 -62، تشرين الثاني، 2003م.
- كروك شانك، جون، ألبير كامي وأدب التمرد، ت: جلال العشري، القاهرة،الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1986م.

- الكعبي، ضياء عبد الله خميس، صورة المرأة في السرد العربي القديم، دراسة في كتاب الجاحظ، والأغاني، والسير الشعبية العربية، رسالة ماجستير في تخصص اللغة العربية بيروت، 1996م.
- مولينو ما كسين، القانون والدولة والسياسات الاشتراكية المتعلقة بالمرأة :اليمن الجنوبي صورة المرأة في الدراسات الغربية سلسلة الدراسات المترجمة3، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية، 1997م.
- نجم، مفيد، المرأة في مرايا الذات والآخر، مجلة الموقف الأدبي، ع 334، شباط 1999م، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 1999م.
- وادي طه، صورة المرأة في الرواية المعاصرة، القاهرة، دار المعارف، 1994م.
- ياسين، السيد، التحليل الاجتماعي للأدب مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر، ط2، 1992م.